الفصل الخامس

الولايات الإسلامية المتحدة فى طورها الجديد

تمهيد:

يقول المولى عز وجل:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

هذه الأمة هى أمة آخر الأنبياء وسيد المرسلين ﷺ.

وستظل هذه الأمة قائمة إلى يوم القيامة لن يصيبها قحط ولا حرمان ولن يقهرها عدو، لأنها أمة داعية إلى الله وعلى طريق الاستقامة، وقد وعد الله بذلك.

وقال تعالى وقوله فصل: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

وقال تعالى يبشر عباده المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وقال تعالى محذرًا لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

وقال تعالى كاشفًا ستر المنافقين (الطابور الخامس المخادع فى أمة الإسلام). ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

ومن الأحاديث النبوية:

١- «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا».

٢- «**كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعنى دخل الجنة، ومن عصانى فقد أبى**».

٣- «**الخير فى وفى أمتى إلى يوم القيامة**».

وهكذا نجد أن هذه الأمة أمة معصومة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبسنة الخلفاء الراشدين المهديين إلى يوم الدين.

وحين تخرج هذه الأمة عن الجماعة فقد خرجت عن ربقة الإسلام، ومن ثم يصيبها الذلة والمسكنة والغضب من الله مثل ما أصاب بنى إسرائيل من قبل، وكان فيهم الأنبياء والملوك لماذا؟

لأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق.

فى أوائل سورة البقرة ذكر الله سبحانه وتعالى صفات المؤمنين فى أربع آيات (من ٢ - ٥).

وصفات الكافرين فى آيتين (٦، ٧).

بينما ذكر صفات المنافقين فى ثلاث عشرة آية (من ٨ - ٢٠).

وفى هذا دلالة على خطورة أمر المنافقين الذين يعيشون بيننا فى العالم الإسلامى.. هم من يطلق عليهم بالعلمانيين - هم الذين يرفضون رفضًا مطلقًا الحكم بما أنزل الله.. هم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا، هم الذين عبدوا أصنام الشيوعية الإلحادية والرأسمالية الاستعمارية والمستغلة فى هذا العصر من دون الله، وتكونت منهم اثنتان وسبعون فرقة من عهد الرسول ﷺ إلى يوم القيامة جميعها فى النار.

يذكرنا الرسول ﷺ بالفرق التى تكونت فى بنى إسرائيل، والفرق التى ظهر بعضها والتى سوف يظهر بعضها الآخر فى أمة الإسلام إلى يوم القيامة.

«**افترقت بنو إسرائيل إلى اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتى إلى ثلاث وسبعين.. جميعها فى النار إلا واحدة.**

قيل ومن هى يا رسول الله؟

قال: **القائمة على كتاب الله وسنتى».**

وفى حديث آخر:

«من أحيا سنتى عند فساد أمتى فله أجر شهيد».

وفى رواية. فله أجر مائة شهيد.

فى أوائل سورة الإسراء (الآيات من ٤ - ٨): إشارة واضحة فى قضاء الله على بنى إسرائيل فى الإفساد فى الأرض مرتين والعلو الكبير فيما بينهما.

وبنو إسرائيل كانت هى الأمة المختارة آلاف السنين منذ عهد نبى الله سيدنا يعقوب عليه السلام (المسمى بإسرائيل فى التوراة) إلى عهد سيدنا عيسى عليه السلام آخر رسل وأنبياء بنى إسرائيل.

فى المرة الأولى بعد أن دخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة من بعد موسى حتى أصبح لهم قوة ومنعة وحضارة أفسدوا فى الأرض، فعاقبهم الله بدخول الكنعانيين، أو بختنصر ملك بابل (فى العراق) أراضيهم وديارهم بجنوده فدمرهم تدميرًا.

حتى إن سيدنا العزير حين دخل الأرض المقدسة بعد ذلك بأمر الله فلم يجد أثرا للحياة فتعجب وقال كما جاء فى سورة البقرة آية ٢٥٩.

﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِى هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ إلخ.

والأرض المقدسة هى أرض الميعاد أو الموعودة التى وعد الله بها موسى عليه السلام بعد خروج بنى إسرائيل من مصر، وهلاك فرعون وجنوده غرقًا فى البحر. كما جاء فى قوله تعالى: **﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِى كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾** [المائدة: ٢١].

ولكنهم خالفوا الأمر فحرم الله عليهم الفتح فى عهد موسى عليه السلام وظلوا أربعين سنة مشتتين فى الأرض.

خلال هذه الفترة. فترة الذل والمسكنة طلب أشراف بنى إسرائيل من نبى لهم أن يبعث لهم ملكًا كما جاء فى سورة البقرة: ٢٤٦.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِىٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ﴾. إلخ الآية.

بعث الله طالوت ملكًا وكان من جنوده داود عليه السلام، وتوجه بالخلاصة أو القلة المؤمنة من بنى إسرائيل إلى الأرض المقدسة من جديد، وقتل داود جالوت ملك الكنعانيين، وأتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء.

وورث سليمان داود وأتاه الله الملك ما لم يأت أحدًا من العالمين، ومد الله بنى إسرائيل بالأموال والبنين.

لكن اليهود أو بنى إسرائيل أفسدوا فى الأرض مرة أخرى فجاءهم الرومان وجاسوا فى الأرض المقدسة من جديد.

وخلال هذه الفترة العصيبة فى حياتهم قتلوا سيدنا زكريا عليه السلام. وابنه يحيى عليه السلام.

وجاءهم سيدنا عيسى عليه السلام ومعه الإنجيل بالتعاليم والمحبة والسلام، ليحميهم من بطش الرومان.

لكن اليهود دبروا المكيدة وحرضوا الرومان على قتله، فهرب من الأرض المقدسة إلى كهف قريب.

فدلهم اليهودى الخائن على مخبئه ويقال إنه من الحواريين (غير المخلصين)، وكان برفقة أحد عشر من الجنود الرومان.

كان هذا اليهودى الخائن شبيهًا بسيدنا عيسى عليه السلام، فنجى الله عبده عيسى عليه السلام وقبض الجنود الرومان على اليهودى الخائن، ظنًا منهم أنه عيسى عليه السلام وقتلوه وصلبوه.

ومن الكهف القريب هرب عيسى عليه السلام إلى مكان أمين بعيدًا عن أعين الرومان، وبدأ يلتقى بالحواريين سراً حيث فوجئوا به حيا بين أظهرهم، وكان

ظنهم من قبل أنه قد قتل وصلب، وسموا أول يوم تم فيه اللقاء عيدًا، وسمى ذلك اليوم عند النصارى بعيد القيامة.

وقد فصل الله سبحانه وتعالى فى ذلك الأمر ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

ربما يتساءل البعض: لماذا أكتب عن المنافقين؟ ولماذا أكتب عن بنى إسرائيل؟

الكتابة عن المنافقين هامة للغاية لأنه حتى تقوم دولة الخلافة بإحدى الصور العصرية فلا مكان لهؤلاء جميعًا، إلا من تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى.

المؤمنون هم الذين يتولون زمام الأمور، وهم الذين يحكمون العالم الإسلامى لبناء الأمة القوية فى كافة المجالات لمواجهة قوى البغى والعدوان فى العالم.. مواجهة بين الحق والباطل.. بين الخير والشر.. بين الصلاح والفساد.. بين الإصلاح والإفساد.. بين الكفر والإيمان.. بين التقوى والفجور.. بين البر والإثم.

المؤمنون لهم صفات ذكرت فى القرآن، والمنافقون لهم صفات ذكرت فى القرآن.. فلا لبس ولا غموض فى التفرقة بين هؤلاء وهؤلاء.

أما عن بنى إسرائيل لأنهم كانوا أمة مختارة، وكان فيهم الملوك والأنبياء. ورغم ذلك كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق، وجعل الله فيهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت.

وانتهت أمة بنى إسرائيل الإسلامية إلى غير رجعة بمقتل سيدنا زكريا وابنه سيدنا يحيى، ومحاولة قتل سيدنا عيسى عليهم السلام.

وكذلك الأمر بالنسبة لأمة سيدنا محمد ﷺ إن لم يكونوا من العالمين العاملين المخلصين، سوف يصيبهم ما أصاب بنى إسرائيل إلا القلة المؤمنة إلى يوم القيامة.

وربما يتساءل البعض: وأين القلة المؤمنة من بنى إسرائيل؟

- الجواب من كتاب الله فى سورة المائدة الآيات من ٨٢ - ٨٥.

حيث نجد أن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهـود؛ لأنهم كفروا بسيدنا عيسى عليه السلام والإنجيل وأرادوا قتله، وكفروا بسـيدنا محمد ﷺ والقرآن وأرادوا قتله فى المدينة. وكذلك كفار مكة فى المدينة.

بينما نجـد أن أقربهم مـودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصـارى، وهم من أهل الكتاب الذين آمنوا بسيدنا عيسى عليه السلام، فكانوا مسلمين، فلما جاءهم سيدنا محمد ﷺ ومعه القرآن قالوا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين.

فى هذا الفصل الهام وهو مسك الختام نتناول بالشرح الموجز المباحث التالية:

المبحث الأول: أمة الإسلام أمة واحدة لا تقبل الحزبية ولا المذهبية.

المبحث الثانى: أمة الإسلام أمة واعية لا تقبل الطائفية ولا العنصرية.

المبحث الثالث: دعائم وحدة الأمة الإسلامية المتاحة بمفهوم العصر.

*****

المبحث الأول
أمة الإسلام أمة واحدة
لا تقبل الحزبية ولا المذهبية

أولاً: لا حزبية فى الإسلام:

حين ترك المسلمون إسلامهم استمكن أعداء الإسلام من خناقه، فتم لهم تمزيق جماعته الكبرى إلى أشلاء منثورة على صعيد القارات الثلاث (آسيا وأفريقيا وأوروبا).

يذكر الشيخ محمد الغزالى فى بحث له يتضمن:

نظرة على واقعنا الإسلامى مع مطلع القرن الخامس عشر الهجرى (عام ١٤٠١هـ الموافق ١٩٨١م). يقول:

ذكر الشيخ محمد المنتصر الكنانى فى محاضرة له بمكة المكرمة. أن تعداد المسلمين فى العالم أجمع حوالى ألف مليون نسمة، وهذه المعلومات تستقى من هيئة الأمم المتحدة (الآن حوالى مليار وربع). ثلثهم يعيشون أقليات فى سلطان حكومات شيوعية ووثنية ونصرانية، والباقون (الثلثين) يحيون فى دول مستقلة بلغت ٤٠ دولة (الآن حوالى ٥٦ دولة).

وأضاف: أن هناك حرب إحصاءات مزورة يشنها أعداء الإسلام، فمثلاً:

السنغال يقطنها أكثر من ٩٥٪ من المسلمين وحكومتها نصرانية، وتنزانيا المكونة من زنجبار وتنجانيقا تقطنها أكثر من ٨٥٪ من المسلمين وحكومتها نصرانية، تعمل بحرارة لضرب الإسلام فى وسط أفريقيا وشرقها.

وهناك أعداد مكذوبة عن نصارى غانا وجنوب السودان توهم أنهم أغلب السكان، وهم فى الحقيقة بين ١٥٪، ٢٠٪، ولا يقل المسلمون عنهم عددًا، والباقى على الوثنية المتعطشة لدين الإسلام. فأين دعاة الإسلام؟

وقد أشاع موازنة لبنان أنهم أكثر السكان مع أنهم لا يبلغون ٢٠٪ من تعداد البلد الذى يراد تنصيره بالخديعة طورًا وبالسلاح طورًا، ليكون بعد تهويد فلسطين قلعة أخرى لضرب الإسلام ورده إلى الصحراء كما يقولون.

حتى أندونيسيا التى كانت دولة إسلامية ١٠٠٪ استطاعت هيئات التبشير المنطلقة من قارة استراليا اقتطاع جزء منها لتكوين دولة نصرانية.

ولا أدرى ما حكم الردة عن الإسلام فى دولة إسلامية لا تحكم بما أنزل الله؟

المعلوم يقينا فى الإسلام هو إقامة الحد وهو القتل.

هذا التمزق فى الأمة الإسلامية مصدره تكوين الأحزاب كما هو سائد فى الدول الغربية، ولكن كشكل دون مضمون وسلب للإرادة الدينية والوطنية حيث إن الاستعمار قديمه وحديثه لا يقبل إلا التبعية.

وقد أجمع الفقهاء على أن الحزبية لا أصل لها فى الإسلام، لأنها تؤدى إلى التناحر واستعلاء بعضها على بعض، وإسناد المسئوليات إلى غير أصحابها بغير شروط البيعة ولا أمر الشورى.

وقد حاولت بعض الحكومات الإسلامية ضرب الاستعمار القديم (مثل إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وهولندا ... إلخ) بالتوجه إلى الدول الشيوعية (مثل الاتحاد السوفيتى سابقًا) وإلغاء النظام الحزبى.

ولكن سرعان ما فشلت بسبب تهميش الدين، وإلغاء الحرية الفردية، وتأميم الممتلكات.

وعادوا خائبين إلى ما يسمى الاستعمار الحديث (الولايات المتحدة وإسرائيل)، الذى يستخدم مجلس الأمن (حق الفيتو) والمنظمات الدولية لصالح قضاياهم الظالمة، وأبيح لهم ضرب المسلمين فى العراق وأفغانستان وفلسطين بلا عقاب ولا عتاب، وإشعال نار الفتنة فى لبنان وفى السودان بدون حق ولا برهان.

الولايات المتحدة وإسرائيل ومن يقف وراءهم أولئك حزب الشيطان نجد ذلك فى سورة المجادلة فى الآيات ١٩، ٢٠، ٢١.

بينما حزب الله هم المؤمنون الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا من ذوى القربى. نجد ذلك فى سورة المجادلة آية ٢٢.

وأطلق لفظ حزب على الكفار واليهود فى غزوة الخندق التى أطلق عليها غزوة الأحزاب. . حيث تحالف كفار الجزيرة العربية (قريش وثقيف وغطفان) وقبائل اليهود (بنوقينقاع وبنو النضير وبنو قريظة) على استقصال شأفة المسلمين فى المدينة.

لكن النصر كان حليف المهاجرين والأنصار ومعهم رسول الله ﷺ، جاء ذلك فى سورة الأحزاب الآيات ٩، ١٠، ١١.

فما هو البديل الإسلامى إذن؟

أجمع الفقهاء على أن الحكومات الإسلامية تبدأ من المسجد (مجموعة المساجد فى القرى وأحياء المدن).

ومن خلال كل مسجد يتم اختيار أهل الحل والعقد من جماعة المصلين الذين يصلون الصلوات الخمس فى جماعة.

ومن خلال أهل الحل والعقد على مستوى القرى والأحياء ثم الأقاليم أو الإمارات أو المحافظات، يتم اختيار كافة المسئولين، وكذلك مجالس الشورى والمجالس المتخصصة ومجالس القضاء.

يحذر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ من الفرقة فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ثانيا: لا مذهبية فى الإسلام:

لم تظهر الفرق إلا بعد مقتل سيدنا عثمان رضى الله عنه، ولم تظهر المذاهب إلا فى العصر العباسى، ولم تظهر الطرق الصوفية إلا فى العصر الفاطمى.

فى القديم كانت فرق الخوارج والمعتزلة والرافضة والمرجئة وأشياع عبد الله ابن سبأ رأس الفتنة.

ثم كانت مذاهب أهل السنة وأشهرها مذاهب الأئمة الأربعة (أبو حنيفة النعمان ومالك بن أنس والشافعى وأحمد بن حنبل).

ومذاهب الشيعة وأهمها: الإمامية، والاثنى عشرية، والزيدية، والأباضية، والإسماعيلية.

ذكر الإمام الدكتور موسى الموسوي في كتابه «يا شيعة العالم استيقظوا» بعض تساؤلات منها:

١- لماذا ألزمنا نحن الشيعة الإمامية أنفسنا بتبعية الفقهاء؟

٢- ولماذا أحكم الفقهاء علينا طوق العبودية؟

٣- ولماذا يتعاطف بعض الشيعة مع الزعامة الإمامة المذهبية الشيعية في إيران ولا يتعاطف مع محنة الشيعة فيها؟

ثم انتهى إلى وضع شعار للتصحيح يساهم فيه كل شيعي بماله أو بقلمه أو بلسانه أو بجهده يتضمن ما يلي:

١- الالتزام المطلق بالعودة إلى عصر رسول الله والسلف الصالح والإمام علي في أصول الدين وأركان الإسلام وفروعه.

٢- الأخذ بمذهب الإمام جعفر بن محمد الصادق الفقهي، مع النظر في المذاهب الأخرى على أنها مذاهب فقهية لا خلاف فيها إلا في الفروع مثل ما يختلف الحنفي مع المالكي، والشافعي مع الحنبلي.

٣- نبذ البدع والخزعبلات التي أدخلت في العقيدة ونسبت إلى الإمام الصادق أو أئمة آخرين زورًا ويهتانًا مثل: التقية والمتعة والغلو وتجريح السلف الصالح.

ثم كانت الطرق الصوفية التى وفدت من المغرب إلى مصر لتمهيد الطريق لقدوم الدولة الفاطمية.

وفى هذا العصر نجد فرق من نوع جديد مثل الشيوعية والرأسمالية والعلمانية.

ومذاهب أهل السنة وأهل الشيعة، وقد اختلط بعضها على بعض فى مكان واحد وفى زمان واحد.

ثم الطرق الصوفية التى اتخذت من الأضرحة والنذور والموالد منهاجًا فى حياتها، والتى لم يكن لها سابق عهد عند أئمة الصوفية الأوائل من أمثال: أبى حامد الغزالى والإمام المحاسبى وابن الرومى.

فمن أين جاءت هذه البدع الضالة؟ لا أدرى.

أما عن هذه الفرق المعاصرة ،فقد أفتى الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله حين سئل عن الشيوعية.. فقال: هذه خروج عن الإسلام.

وأما عن المذاهب.. فقد سئل الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله عنها فقال: هى مدارس فقهية من صميم الفقه الإسلامى.

وقال الشيخ محمد متولى الشعروای رحمه الله عن الاختلافات الفقهية: أنها اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد. وقال الشيخ محمد الغزالى رحمه الله: أن التعصب للإسلام وليس للمذهب.

وماذا عن أئمة المذاهب الأربعة:

قال الإمام أبو حنيفة النعمان صاحب الاجتهاد فى الإسلام:

هم رجال ونحن رجال، وكان من أصحاب الرأى.

ويقال عن الإمام أبى حنيفة أنه كان حين يعتمر ويحج كان على مذهب الإمام مالك منعًا للفرقة بين المسلمين.

وقال الإمام مالك بن أنس:

من كل يؤخذ ويرد إلا صاحب هذا المقام.

طلب منه الخليفة العباسى هارون الرشيد أن يجمع مذهبه فى كتاب فقال له: أخشى أن يؤخذ به من بعدى.

لكن الخليفة العباسى أصر على ذلك حتى يحكم به، فأخرج كتاب الموطأ.

أما الإمام الشافعى فقد كان له مذهبه وهو فى العراق، وحين انتقل إلى مصر كان له مذهبه الثانى حيث تغير الزمان والمكان.

وقال قولته المشهورة: إذا وجدتم حديثًا يخالف مذهبى فاضربوا بمذهبى عرض الحائط.

وجاء الإمام أحمد بن حنبل وهو آخرهم (فى عهد المأمون) وكان مذهبه أيسر المذاهب وليس أشدها كما هو مشاع، وقال قولته المشهورة: الضعيف عندنا (الحديث الضعيف). أقوى من الرأى.

ولنا هنا ملاحظة هامة للغاية وهى: أنه لم يكن هناك تعدد للمذاهب مطلقًا فى المكان الواحد وفى الزمان الواحد وكان يقال:

مذهب أهل العراق(الحنفية).

مذهب أهل المدينة (المالكية).

مذهب أهل مصر (الليث بن سعد).

وهكذا . . .

ومع مرور الزمان وظهور الأتباع أو التلاميذ ظهر ما يسمى بمذهب الأحناف فى بعض الأمصار التى دخلت الإسلام، وكذلك مذهب المالكية ومذهب الحنابلة وهكذا.

وحينما توقف الاجتهاد وتناحر أصحاب المذاهب فيما بينهم ظهر بينهم العداوة والبغضاء.

ولكن صدق رسول الله ﷺ حين قال: «**على رأس كل مائة سنة يظهر من يجدد للأمة إيمانها**».

وقد حدث بالفعل ظهور فقهاء كبار من أمثال:

الإمام أبو حامد الغزالى وكان فى الأصل شافعى.

الإمام أحمد بن تيمية وكان فى الأصل حنبلى.

الإمام العز بن عبد السلام شيخ الإسلام بطل حرب التتار.

والإمام محمد عبده المفكر الإسلامى فى بداية القرن العشرين الميلادى أو الرابع عشر الهجرى.

وفقهاء أجلاء فى هذا العصر أذكر منهم على سبيل المثال: الشيخ محمد الغزالى، الشيخ محمد أبو زهرة، الدكتور يوسف القرضاوى الدكتور عيسى عبده إبراهيم وأيضًا الشيخ سيد سابق صاحب كتاب «فقه السنة» الذى أفاد الملايين من أبناء المسلمين.

هذا الكتاب لم يتعصب فيه المؤلف لأى مذهب من المذاهب، وإن كان قد أخذ منهم جميعًا بالترجيح فى كل مسألة من مسائل الفقه، وكانت لديه القدرة على الاستنباط من الكتاب والسنة مباشرة دون الرجوع للمذاهب.

وملاحظة أخرى هامة:

وهى أن صيغة عقود النكاح فى مصر كانت تتضمن: وعلى مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان وقد أحدث ذلك حرجًا فى مسائل الزواج والطلاق والميراث وما شابه.

فأجمع فقهاء مصر على إلغاء ذلك، وأصبحت الصيغة فقط. على كتاب الله وسنة رسوله.

والخلاصة:

أنه لا يجوز مطلقًا التمذهب فى مذاهب شتى فى ظل دولة الخلافة العصرية.. خاصة وأن العالم كله قد أصبح مثل القرية الصغيرة.

فما من حركات ولا سكنات إلا ويعلم أمرها عن طريق وسائل الإعلام المختلفة بعد دقائق معدودات.

فلم يعد هناك مبررًا للاختلافات فى ظل حكومة إسلامية واحدة فى مكان واحد وفى زمان واحد، حتى لا تتفرق الجماعة ولا تتناحر الأقاليم أو الولايات فيما بينها، ويستقل بعضهم عن بعض عن طريق الاستعانة بالفرنجة، كما حدث فى الأندلس قبل سقوطها.

فى ظل دولة الخلافة لم يعد مقبولاً على الإطلاق أن يقال هذا سنى وذاك شيعى والثالث صوفى.

كما لم يعد مقبولاً أن يقال هذا الإقليم أو هذه الولاية على المذهب الحنفى، وتلك الولاية على مذهب الإمام مالك. والثالثة على المذهب الحنبلى وهكذا..

حتى مطالع الشهور الهجرية (وخاصة أشهر رمضان وشوال وذو الحجة) يتحتم أن تتوحد فى العالم كله، فإن الأهلة تولد مرة كل شهر ولا تولد مرات.

وقد بُذلت محاولات من بعض دور الإفتاء من أجل توحيد الأهلة عن طريق ما يسمى بالقمر الصناعى الإسلامى، ولكن تسلط بعض الحكومات فى العالم الإسلامى حال دون ذلك بتغليب السياسة على الدين.. وأى سياسة هذه؟.

*****

obeikandl.com

المبحث الثانى
أمة الإسلام أمة داعية
لا تقبل الطائفية ولا العنصرية

أولاً: لا طائفية فى دولة الخلافة المعاصرة:

هذه الطائفية من صنع الاستعمار القديم والحديث، ولا وجود لها فى العصر النبوى، ولا فى عصور الخلافة حتى عهد قريب.

حين هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة ومعه المهاجرين الذين جاءوا من قبله ومن بعده من مكة والحبشة.. آخى بين المهاجرين والأنصار.

وكان فى المدينة يهود بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير، طلب منهم العيش فى سلام مع المهاجرين والأنصار حيث لا إكراه فى الدين.

وطلب منهم ما يسمى بالوحدة الوطنية من أجل حفظ ظهر المدينة من المشركين.

لكنهم بعد ذلك نقضوا العهود وتعاونوا مع الكفار فى مكة والمنافقين فى المدينة لقتل سيدنا محمد ﷺ، والقضاء على دولة الإسلام.

كان عدوانا ثلاثياً فى غزوة الأحزاب من الكفار والمنافقين واليهود، فانتصر المسلمون وأجلاهم الرسول ﷺ من المدينة ومن خيبر.

لكن الملاحظ وهذه نقطة تاريخية هامة أن اليهود المسالمون ظلوا فى المدينة، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

يظهر ذلك من كتب السيرة النبوية وتاريخ الصحابة والتابعين، حيث نجد أن الرسول ﷺ كان له جار يهودى وكان له غلام يهودى يخدم فى بيته، ورهن سيفه عنه يهودى اشترى منه شعيراً، وسيدنا على رضى الله عنه كان أجيراً عند يهودى حين اشتد به الجوع، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يعطى اليهود والنصارى

من بيت المال حين العوز، بل إن بعض اليهود فى عصور الخلافة كانت لهم مكانة، فلم يكن هناك ما يسمى بالطائفية لأنهم أهل ذمة.

وحين دخل عمرو بن العاص رضى الله عنه أرض مصر الكنانة كان يحكم بالإسلام من أول يوم، وسعى فى رد مظالم أقباط مصر (شعب مصر) من الرومان المحتلين.

وفى حروبه ضد الرومان فى الفسطاط (القاهرة) والإسكندرية وكان جيشه لا يتعدى بضع آلاف من المسلمين أمام مئات الألوف من جند الرومان، كان النصر حليف المسلمين بمعاونة شعب مصر ضد العدو.

ولم نسمع بعد ذلك ما يسمى بالطائفية رغم كثرة عدد النصارى، حتى فى ظل الخلافة العثمانية (فى عهد السلطان عبد الحميد) طُلب منه إقامة دولة لليهود فى فلسطين. فرفض ذلك رفضًا قاطعًا رغم غلبة الاستعمار القديم على دولة الخلافة المريضة.

كان السلطان عبد الحميد يعلم بوجود جالية يهودية كبيرة فى فلسطين، لكن لم يسمح لهم بإقامة دولة لأنهم أهل ذمة على أرض الإسلام.

لكنهم نالوا بعد ذلك وعد بلفور (المسئول البريطانى) بإقامة دولة.. ثم كان التقسيم عام ١٩٤٧، ثم كان الاحتلال الكامل عام ١٩٦٧، ثم التهديد اليومى للدول الإسلامية المجاورة بتأييد كامل من الصليبية العالمية.

لكن لا يأس من رحمة الله حين يكون المسلمون عند إسلامهم، فسوف يتحقق لهم النصر المبين.. سوف ينطق الحجر والشجر: يا عبد الله ورائى يهودى فاقتله.

والمقصود هنا اليهودى المحارب.. أما اليهود المسالمون فلا إكراه فى الدين، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين فى دولة الخلافة الإسلامية.

الطائفية فى لبنان ظهرت فى أسوء صورها، رغم أن الموازنة كما ذكر الشيخ محمد الغزالى لا يمثلون سوى ٢٠٪ فقط على الأكثر من عدد السكان.

وهذه ألاعيب استعمارية مكشوفة، وسوف تستمر طالما ظل المسلمون فى غفلة عن دينهم.

وقد بذلت مساعى حميدة فى لبنان بالتعاون أو الوحدة مع سوريا، لكن القوى الصليبية والصهيونية ترفض ذلك تمامًا، وكذلك الهيئات القبلية الموالية لهما داخل لبنان.

ثم كانت هناك محاولات يائسة من نصارى مصر المقيمين فى الولايات المتحدة الأمريكية لإثارة الفتنة الطائفية فى عصر السادات، لكن بيقظة الشعب المصرى المسالم وادت هذه الفتنة التى أطفأها الله.. فهم يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

ثانيا: لا عنصرية فى دولة الخلافة المعاصرة

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: ١٣].

ويقول الرسول ﷺ: «**لا فضل لعربى على عجمى، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى**».

من الكتاب والسنة نعلم أن معيار الفضل من الله هو التقوى.

فهذا سلمان الفارسى، وذاك صهيب الرومى، بلال الحبشى جميعهم رضوان الله عليهم من الأعاجم والعبيد، فماذا قال عنهم الرسول ﷺ؟.

قال: سلمان منا أهل البيت، وصهيب منا أهل البيت، وبلال منا أهل البيت.

وكذلك زيد بن حارثة، وأسامة بن زيد الحب ابن الحب لم يكونا من قريش ولا من بنى هاشم، لكنهما كانا من أقرب الناس إلى قلب رسول الله ﷺ.

وكان الكفار من قريش ومن بنى هاشم أبعد ما يكون من قلب رسول الله ﷺ، ومنهم عمرو بن هشام القرشى (أبو جهل) وأبو لهب الهاشمى (عم الرسول ﷺ).

وقال سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه حين تولى الخلافة :

القوى عندى ضعيف حتى آخذ الحق منه، والضعيف عندى قوى حتى آخذ الحق له.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للقبطى المصرى الذى جاء يشكو من ابن عمرو بن العاص حين ضربه فى سباق.

اضرب ابن الأكرمين.. فضربه وقال، اضرب أبيه قال، لا فقد أخذت حقى.

ثم التفت إلى عمرو بن العاص وقال له: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا.

وهكذا الأمر فى حياة المسلمين حتى تقوم الساعة.. فلا فضل لمصرى على يمنى ولا أندونيسى ولا عمانى إلا بالتقوى، ولا فضل لمسلم إيرانى أو مسلم فلسطينى على مسلم أمريكى أو مسلم سيريلانكى إلا بالتقوى.

حتى فى الصحبة فلا تميز لمسلم على مسلم إلا بذلك، مصداقًا لقول رسول الله ﷺ: **«لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقى»**.

بينما نجد عند غير المسلمين التفرقة بأوسع معانيها:

- تفرقة بين السيد الذى يملك الإقطاعية وما عليها فيظلم كيف يشاء.. والعبد المقهور الذى لا يملك من حطام الدنيا شيئًا.

- تفرقة بين الأبيض والأسود كما كان سائدًا فى الولايات المتحدة الأمريكية منذ عهد قريب، ومازالت بعض آثاره فى جيوب المدن والولايات.

- التفرقة التى صنعها هتلر بين الألمان وغيرهم من الأوروبيين وغير الأوروبيين.

والتفرقة التى وضعها اليهود الصهاينة بين اليهود وغيرهم من شعوب الأرض.. ظنًا منهم أنهم شعب الله المختار.

فلما كفروا بآيات الله وقتلوا الأنبياء صاروا من المغضوب عليهم إلى يوم الدين.

فى ظل دولة الخلافة لن يكون هناك حق امتياز لدولة من الدول، ولا لأسرة من الأسر، ولا لفرد على آخر بالمال أو النسب.

فالكل يتسابق فى الإيمان والعمل الصالح، فى السمع والطاعة للأمير ولو كان عبدًا حبشيًا.. فى الجهاد فى سبيل الله، ولكل مجتهد نصيب.

يقول تعالى فى سورة آل عمران آية ١٣٣:

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

المبحث الثالث
دعائم وحدة الأمة الإسلامية
المتاحة بمفهوم العصر

تمهيد:

وحدة الأمة الإسلامية تتحقق من خلال الكثير من الآيات القرآنية، والكثير من الأحاديث النبوية، والكثير من أقوال الفقهاء حول فرضية وحدة الأمة.

فما الذى جعل العالم الإسلامى حكامًا وشعوبًا يتجاهلون ويتخاذلون ويضربون بما جاء فى الكتاب والسنة والإجماع عرض الحائط؟

ما الذى جعلهم يتعايشون مع غير المسلمين فى ذلة ومهانة، حين تحققت مآربهم الدنيوية وشهواتهم الحيوانية؟

- المسألة تحتاج إلى جهد وجهاد.. إلى تضحية وفداء.. إلى قلب وتصديق.، . إلى عقل وتفكير.. إلى علم وعمل.. إلى حكمة وتدبير.. إلى كياسة واقتصاد.. إلى سمع وطاعة .. إلى شكر للنعمة وصبر على البلاء.

كل هذه دعائم للخروج من عالم الغثاء إلى عالم الرجال.

يقول المولى عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ [النساء: ٥٩].

ويقول تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ويقول الرسول ﷺ: «**المؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير**».

ويقول أيضًا:

«**توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الذئاب إلى قصعتها.. قيل: أو من قلة يومئذ يا رسول الله؟**

قال: لا.. إنكم يومئذ كثيرون لكنكم غثاء مثل غثاء السيل.. ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة وليضربن الله على قلوبكم الوهن.

قيل: وما الوهن يا رسول الله؟

قال: حب الدنيا وكراهية الآخرة.

وأما عن أقوال الفقهاء:

فقد أجمع علماء الإسلام على أن الخلافة أو الإمامة فرض أساسى من فروض الدين، بل هو الفرض الأول والأهم لأنه يتوقف عليه تنفيذ سائر الفروض وتحقيق المصالح العامة للمسلمين[1].

فى هذا المبحث سنتناول هذا الأمر الهام فى ثلاثة موضوعات كما يلى:

أولاً: من آثار سقوط الخلافة العثمانية (دروس وعبر).

ثانيًا: اجتهادات المفكرين المعاصرين حول إقامة دولة الخلافة.

ثالثًا: المستفاد من التجارب الوحدوية فى العالم الإسلامى وغيره.

*****

أولاً: من آثار سقوط الخلافة العثمانية (دروس وعبر)

فى مارس عام ١٩٢٤ (الموافق ١٣٤٤هـ) أعلن «كمال أتاتورك» رئيس تركيا إلغاء منصب الخلافة من بلاده، فكان لهذا دوى بالغ فى جميع أنحاء العالم الإسلامى.

وفى أبريل عام ١٩٢٥ أصدر الشيخ على عبد الرزاق القاضى الشرعى آنذاك بالمنصورة، كتابًا طالب فيه بإلغاء الخلافة وأنكر وجودها فى الإسلام، فأحدث هذا ضجة كبيرة فى مصر وسائر بلاد العروبة والإسلام[2].

---

(١) من المراجع على سبيل المثال: الأحكام السلطانية للماوردى، والمقدمة لابن خلدون، والخلافة للعلامة السيد رشيد رضا.

(٢) سمى هذا الكتاب «الإسلام وأصول الحكم» للشيخ على عبد الرزاق.

وقد تعرض لـهذا الكتاب بعض الصحـفيين والكتاب الذين ليـست لهم دراسة عميقة بمسائل الخلافة، فكانت النتيـجة أن تسرعوا فى إصدار أحكام خاطئة وقدموا صورة مشوهة عن حقيقة الإسلام وتاريخه، وضلوا عن فهم غاياته.

فكان لابد أن يوضع حدا لتلك الأباطيل فى مدى خمسين عامًا ولابد أن يعرف الحق.

فأصدر الدكتور محمد ضياء الدين الريس أستاذ النظم الإسلامية بجامعة القاهرة (كلية دار العلوم) كتابه: «الإسلام والخلافة فى العصر الحديث».

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٢م (الموافق ١٣٩٢هـ) وهو يعد ردا أو نقدا لكتاب الإسلام وأصول الحكم الذى ألفه أو وضعه الشيخ على عبد الرزاق.

يذكر الـدكتور مـحمـد ضيـاء الدين الريس فى كتـابه خلاصـة ما انتهـى إليه الصحفيون بعد صدور كـتاب الإسلام وأصول الحكم، وهو يرى أن الإنجليز قرروا إقامـة الخلافة الإسلامـية فى مصر بعـد زوالها من تركيـا، وأنهم كانوا يريدون أن يعطوا هذا الشرف للملك أحمد فؤاد ملك مصـر، حيث كان الملك مجرد موظف تابع لهم. . فكانوا يقصدون استغلال نفوذ الخلافـة لترقية الاستعمار، وأن العلماء لم يكن لهم رأى، ولم يكونوا مخلصين، وإنما كانوا يتاجرون بالدين، وأن الشيخ على عبد الرزاق كان هو الفارس الجرىء المغوار المقدام الذى تصدى لهذا كله.

بعد عـرض وجهـة نظرهم والتى كانت شـائعة ويرددها غيـرهم يعود الدكـتور محمد ضياء الدين الريس ليناقش أحكامهم هذه بالأدلة والبراهين.

هذه المناقشة تتناول ثلاثة جوانب وهى:

موقف الإنجليز، وموقف الملك، وموقف الشيخ على عبد الرزاق، ويضاف إليها جانب رابع وهو موقف العلماء.

أما عن موقف الإنجليز:

فإن الإنجليـز لم يكن يعنيـهم إقامة الخـلافة فى مـصر، ولم يكونوا من الغـباء بحيث تُرضى ملكًا واحدًا لتغضب الآخرين.

فقد كان هناك الملك حسين صديقهـا القديم، وكان هناك أيضًا الملك عبد العزيز آل سعود الذى كسب مجدًا جديدًا باستيلائه على الحجاز موطن الحرمين.

والنقطة الأخيرة تتعلق بالملك فؤاد، فهو لم يكن ذلك الشخص الضعيف الخامل الذى يصلح أن يكون أداة طيعة فى يد السياسة البريطانية أو الاستعمار.

بل كان على العكس رجلاً قوى الإرادة ذو شخصيـة يحسب لها حسابها، وقد دخل فى عراك مع المعـتمد البريطـانى فى إخراج وزير من الوزارة، وكان المعتـمد معترضًا ونفذ إرادته.

الخلاصة: إذن أن الإنجليز لم يكن لهم شأن بقضيـة الخلافة، وأنها كانت قضية محلية مـصرية أطرافها: الملك، والعلماء، والشيخ على عـبد الرزاق، والصحف، والأحزاب.

وأما بالنسبة للملك:

فقد نشأت فكرة ترشيحه للخلافة من حوار حول ما كان من طرد آل عثمان من تركيـا وإلغاء الخلافة، فـقال أحد الحـاضرين: ولما لا تكون الخلافـة للملك فؤاد، نجمع علماء مصر فينتخبونه ويبايعونه؟

لكن العلماء لم يأخذوا بهذا الاقتراح، وانتـهوا إلى وجوب عقد مؤتمر إسلامى عام للتشاور قبل إعلان أى قرار.

- حـين وصل إلى علم الملك رفض القـرار قـال لسعـد باشـا رئيس الوزراء وقتئذ: «كيف أقوم بالواجب نحو جميع المسلمين مع أن حملى ثقيل بالنسبة لمصر وحدها»؟

وأما بالنسبة للعلماء:

حين اجتمـعوا وفكروا فى مسألة الخلافة، لاعتـقادهم بأن ذلك واجب عليهم. فالخلافة أهم منصب دينى ويهم المسلمين جميعًا.

وقد نصت الشـريعة الإسلامية فى أن إقـامة الخلافة فـرض أساسى من فروض الدين.. بل هو الفرض الأعظم لأنه يتوقف عليه تنفيذ سائر الفروض.

وإذا كان البعض منهم قد اقترح أن تتم الخلافة للملك فؤاد ملك مصر، إنما كان ذلك بهدف رفع قدر مصر فى نظر العالم الإسلامى، ويجعلها مركزًا لهذا العالم.

هذا رأى الدكتور ضياء الدين الريس ليرد على أولئك الذين هاجموا العلماء ورموهم بالنفاق والرياء، وأنهم يتاجرون بالدين ويؤيدون الظلم والاستبداد.

وكان فى مقدمة العلماء المهتمين بأمر الخلافة عالم كبير ليس من رجال الأزهر، ولكنه من علماء سوريا الذين أقاموا فى مصر، وهو السيد محمد رشيد رضا تلميذ الإمام محمد عبده وحامل رسالته، وهو صاحب مجلة المنار التى كان لها انتشار فى أنحاء العالم الإسلامى.

فى عام ١٩٢٤ أصدر كتابا بعنوان «الخلافة أو الإمامة العظمى».

هذا الكتاب القيم بَيَّن فيه المؤلف أحكام الشريعة الإسلامية التى تتعلق بالخلافة.. وفى ختام البحث وضع منهجًا للإصلاح يلائم العصر.

وأما بالنسبة للشيخ على عبد الرزاق (مؤلف كتاب الإسلام وأصول الحكم):

فإنه لم يقصد من تأليف كتابه أن يتحدى الإنجليز أو يتحدى الملك فؤاد كما زعم الصحفيون والكُتَّاب.

وقد بدأ تأليف هذا الكتاب أيام الحرب العالمية الأولى أى قبل مجىء الملك فؤاد، كما نص على ذلك فى المقدمة.

والواقع أن ظهور الكتاب تأخر عن الوقت المناسب، وبعد هذه السنين الكثيرة أخرج كتابه الذى لم يزد عن مائة صفحة، وكان من سوء حظ الشيخ أن ظهر الكتاب بعد أن تغيرت الأحوال حيث تحققت الفكرة التى كان يدعو إليها وهى هدم الخلافة، ثم ظهر الكتاب فى الوقت الذى بدأت فيه حركة نشطة فى مصر والعالم الإسلامى لإحياء الخلافة، وأخذ كثير من ملوك الإسلام يتطلعون إلى هذا المقام الجليل.

هذا من الناحية السياسية، وأما من الناحية الدينية فقد احتوى الكتاب على آراء تعد خروجًا على ما أجمع عليه المسلمون، بل تخالف ما هو معتقد ومسلَّم به عن حقيقة الإسلام.

وقد أجمع بعض الفقهاء على إصدار حكم ضده بالردة عن الإسلام.

ولكن السؤال المهم هو:

هل هو المؤلف الحقيقى لهذا الكتاب؟

تشير الترجيحات على أن المؤلف الحقيقى غير مسلم، وكان يكتب أثناء الحرب العالمية الأولى بهدف شن الهجوم على الخلافة والخليفة لأن بلاده (بريطانيا) كانت فى حرب مع تركيا، وقد أعلن الخليفة العثمانى الجهاد الدينى ضدها والنصوص قاطعة بأنه كان موجهًا ضد الخلافة العثمانية، وكان السلطان محمد الخامس هو الخليفة فى ذلك الوقت.

هذا الشخص كان أحد المستشرقين الإنجليز، ويغلب الظن أنه يكون هو المستر «مرجو ليوث» اليهودى الذى كان أستاذًا للغة العربية فى بريطانيا، ويكتب عن الإسلام بجهالة ونزعة حقد.

وقد فند الدكتور ضياء الدين الريس آراؤه عن الدولة الإسلامية فى كتابه «النظريات السياسية الإسلامية».

ثانيًا: اجتهادات المفكرين المعاصرين حول إقامة دولة الخلافة

آراء الشيخ محمد الغزالى[1]:

يذكر الشيخ محمد الغزالى أن طالبًا جامعيًا قرأ فى تسويغ خروج الحاكم عن الشورى - موقف أبى بكر فى حروب الردة، وكيف مضى على رأيه رافضًا رأى عمر ابن الخطاب وجمهور الصحابة وكان الخير فيما فعل....

رد عليه: فى هذا الكلام جملة أخطاء فاحشة.

أولها: أن مقاتلة المرتدين ومانعى الزكاة. وادعاء النبوة ليست رأيًا اقترحه أبو بكر أو اجتهادًا خاصًا به.

إنه النص الذى ورد فى الكتاب والسنة، فأبو بكر ينفذ ما ثبت، ولا اجتهاد مع النص، ولا شورى كذلك مع النص.

ثانيها: من يقول إن الصحابة كانوا ضد هذا الموقف! ذاك كذب محض.

(١) كتاب: «نظرة على واقعنا الإسلامى (مع مطلع القرن الخامس عشر الهجرى للشيخ محمد الغزالى).

صحيح أن عمر بن الخطاب ثارت فى نفسه شبهة ما كادت تولد حتى ماتت، مثل ما أنكر وفاة الرسول بادئ الأمر ثم ثاب إلى الحق بعد كلام أبى بكر، وكان أول من جند نفسه للعمل معه فى ميادين الكفاح.

إذن لابد من تحديد مواطن الشورى - فالشورى لا علاقة لها بالعقائد والعبادات والحلال والحرام.. فهى لا تنشئ طاعة ولا تحل حرامًا.. إنها كالاجتهاد لا مكان له مع النص.

فالإسلام لم يقر شرب الخمور ولا اللواط، ولا تبادل الزوجات كما حدث فى الدول الغربية من منطلق الديمقراطية، ويبدو أن الكنيسة لم تعترض على ذلك.

ينبغى أن نفرق بين الولاء للدولة والولاء لشخص الحاكم.. إن الولاء للدولة حق، والانحراف عنها مزلقة إلى الخيانة العظمى، وقد رأينا فى تاريخنا صحابة وتابعين يخدمون الدولة الإسلامية فى ظل الإدارة الأموية، وهم يكرهون نوع الحكم وسلوك رجاله.

إنه ينبغى أن نكون رجالاً على سنة الله ورسوله، ولا نكون غثاءً حكامًا ومحكومين نتسول من غيرنا ونستجدى رضاهم.

نظرت إلى قلمى فوجدته أمريكى الصناعة، وإلى ساعة يدى فوجدتها سويسرية، وإلى المنظار الذى يعيننى على الإبصار فوجدته من ألمانيا، وإلى حذائى الذى أسير فيه فوجدته إيطالى الصنع، وإلى الثوب الذى أرتديه فوجدته من الصين، وإلى السيارة فوجدتها من اليابان.

حتى الغذاء يأتينا من الخارج، والسلاح يأتينا من الأعداء، والتفكير والسلوكيات من عادات وتقاليد عقيمة.

فأين نحن على خريطة العالم من حولنا؟

إنه الضياع ما لم نستمسك بالعروة الوثقى.. ما لم نكن على خلق ودين.. ما لم نؤت ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

إن دعامة الأمة الإسلامية أن تكون صورة صادقة لدينها فى الداخل والخارج.

هذا علمًا بأن منصب الخلافة يقوم على الأسس التالية:

١- نشر الدعوة الإسلامية فى كل مكان.

٢- رد الشبهات التى تثيرها الدعوات المضادة.

٣- تحشيد قوى المؤمنين ضد أى عدوان يجيء من هنا أو هناك.

٤- الإسهام مع قوى الخير فى العالم على رفع مكانة الإنسان عامة.

٥- الخلافة تكون نيابة عن الرسول ﷺ فى رعاية مصالح الأمة الدينية والمدنية.

الحقيقة أن توريث الحكم قد وقف حجر عثرة فى سبيل اختيار أفضل رجل ليكون قائدًا وإمامًا.

- هذا ما حدث فى ظل الخلافة الأموية والعباسية، حيث وجد من فرض نفسه على الألوف المؤلفة فى أقطار الأرض الواسعة سيدًا مطاعًا وإمامًا مهيبًا؟

فقد كان آخر الخلفاء أو السلاطين من آل عثمان شبحًا محقورًا لهذا النظام الجائر.

فلا عجب إذا رمى بالخلافة فى البحر قائد يتفاهم مع الصليبية العالمية، التى طال تربصها وبلغت آخر الأمر مرادها.

إن المحن التى أصابت الإسلام بفساد أوضاعه السياسية مستطيرة الشر.

والتفكير الذى يشغل ملايين المؤمنين الآن هو عودة الخلافة على نهجها الراشد.

يقول الشيخ محمد الغزالى:

لنبحث إذن كيف يكون للمسلمين وحدة شاملة وخلافة عظمى؟ تساءلت: ألا يمكن تخويل ودعم المؤتمر الإسلامى لتحقيق هذه الغاية؟

إن المؤتمر يتكون الآن من حوالى خمسين دولة إسلامية بيد أن المسلمين أوسع دائرة من هذه الدول الخمسين.

إن القلة المسلمة فى الهند أربى من جميع الدول العربية.

معنى هذا أنه لابد من تمثيل طوائف المسلمين فى العالم كله، وهم موزعون على أكثر من خمسين دولة أخرى.

مطلوب إذن تشكيل المؤتمر ليكون لكل تجمع إسلامى صوت، ويكون اختيار الأمين العام ممن تتوافر فيه شروط الصلاح مع الكفاءة، بحيث تتجسد فيه آمال المسلمين وآلامهم.

ويمكن أن يأخذ هذا الأمين وضع الخليفة.

اقتراح آخر:

ألا يمكن تحويل الدول أو الدويلات الإسلامية إلى ولايات متحدة إسلامية على غرار النظام الأمريكى.

واقتراح ثالث:

هل يمكن أن يجمع بين أسرة الدول الإسلامية والأقليات الإسلامية نظام يشبه «الاتحاد الكونفدرالى» تبقى فيه المعالم المحلية ويجمع المسلمين هدف واحد فى الميدان الدولى؟

يقترح الدكتور محمد ضياء الدين الريس[1].

الخلافة حقيقة علمية وتاريخية فى حياة الإسلام والمسلمين، والمسلمون لا يستطيعون أن يتجاهلوها أو يهملوها أو يغضوا الطرف عنها.

ولكن من خلال النظر إلى تاريخ الخلافة العثمانية فى مدتها الأخيرة نجد أنه قد اعتراها الضعف وساءت الأحوال فى الولايات الإسلامية التى كانت تتبعها، وأصبحت عاجزة عن مواجهة القوى العدوانية.

لكن يجب أن نذكر أن هذه الخلافة العثمانية لم تكن خلافة صحيحة بالمعنى الذى يريده الإسلام.

وإذا كانت الخلافة قد انتهت من تركيا فهى لم تكن حق تركيا ولا ملكها المحتكر لها، ولكنها حق الإسلام وملك الأمة الإسلامية بأسرها.. فهذا دور قد انتهى مثلما مرت الخلافة من قبل بأدوار.

وقد نشأت الخلافة فى المدينة ثم انتقلت إلى دمشق ثم إلى بغداد ثم إلى القاهرة ثم إلى الآستانة.

---

(١) الإسلام وأصول الخلافة فى العصر الحديث د/ محمد ضياء الدين الريس.

لكن يبقى أن نظام الخلافة نفسه جزء من حياة الإسلام وفرض أوجبته الشريعة، استمرارًا لتاريخ الأمة الإسلامية.

يقول الدكتور محمد ضياء الدين الريس:

هنا نقف برهة لنجيب على أسئلة هامة وهى:

تحديد مدى مسئولية الأمة فى عدم إقامة الخلافة، وهل تعد آثمة بذلك؟ وإلى أى حد؟ أو بعبارة أخرى: ما حكم الإسلام على الأوضاع الموجودة الآن فى العالم الإسلامى؟

والجواب:

مادام قصد الشارع هو وجود حكومة أو دولة إسلامية، وقد رأينا أن الفقهاء قد أجازوا تعدد الحكومات عند تباعد المسافات أو للضرورة.. فإنه لا داعى لإثارة اعتراض على ذلك ولكن مع تحقق صفات وشروط مثل:

١- أن تجعل الدول الإسلامية سياستها ونظمها وأعمالها مطابقة للمبادئ الإسلامية.

٢- التقليل من التعدد؛ لأن الأصل فى الإسلام هو التوحيد أو الوحدة. مع تأكيد مبادئ الشورى وسيادة الأمة وشروط الإمامة.

٣- العناية بالمسائل الاقتصادية مثل التكافل الاجتماعى.

من خلال ذلك يقترح الدكتور محمد ضياء الدين الريس ما يلى وبإيجاز شديد[١]:

أن تنشئ الدول الإسلامية منظمة تسمى «منظمة الدول الإسلامية» وتكون منظمة دائمة وترسل كل دولة مندوبًا دائمًا لدى المنظمة ويكون للمنظمة سكرتير عام يلقب بالمدير أو المراقب، ويكون من خير رجال الأمة علمًا ودينًا وخلقًا ومعرفة بأحوال الشعوب الإسلامية والشئون الدولية.

ويكون للمنظمة جمعية عمومية تعقد دورة لها كل عام لمدة ثلاثة أشهر، أو كلما اقتضت الظروف.. يرأسها بالتناوب مندوبو الدول الإسلامية (رئيس لكل دورة).

---

(١) المقترح من صـ٣٦٣ إلى صـ٣٧٥ من كتاب «الإسلام وأصول الخلافة».

ويجوز أن تعقد الجمعية على مستوى رؤساء الحكومات، وإلى جانب الجمعية العمومية يعقد مجلس تنفيذى تنتخبه الجمعية، وتجتمع مرة كل شهر وتكون لها اختصاصات فى كافة المسائل. مع حق إصدار القرارات.

هذه المنظمة ستكون لها صفة دولية، ولا تلغى هذه المنظمة وجود الجامعة العربية بل تكون هذه الجامعة فرعًا لها.

ويكون للمنظمة لجان عاملة دائمة مثل:

١- لجنة الشئون السياسية.

٢- لجنة الشئون القانونية أو التشريعية.

٣- لجنة الثقافة الاجتماعية.

٤- لجنة نشر الدعوة الإسلامية فى الخارج.

يقدم هذا المشروع إلى رؤساء الدول الإسلامية وهم الذين يملكون التنفيذ. وإلى علمائها وذوى الرأى فيها.

ويقترح الدكتور محمد ضياء الدين الريس فى النهاية، تنفيذًا للمشروع وكخطوة للبدء فى العمل أن يبادر أحد رؤساء الدول الإسلامية - محتسبًا مخلصًا النية لله فيدعو إلى تأليف لجنة تأسيسية لوضع ميثاق المنظمة ودستورها، ثم يدعو سائر الدول إلى الاتفاق على الميثاق وتوقيعه - ثم يعلن قيام المنظمة وتذاع أهدافها على العالم.

ثالثا: المستفاد من التجارب الوحدوية فى العالم الإسلامى وغيره

من القرآن الكريم ومن السنة ومن إجماع الفقهاء واجتهاداتهم فى القديم والحديث، ومن الخبرات الإنسانية ومواهبها (مؤمن أو كافر)، ومن الجمادات والنباتات والحيوانات نتعلم الكثير فى أمور دنيانا وأخرانا.. فقد خلقت هذه الأشياء قبل خلق الإنسان بملايين أو مليارات السنين.

وهذا مصداقًا لقوله تعالى فى سورة الإنسان الآيات ١، ٢، ٣ **﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾** إلخ.

وعطاء الله لم يكن محظوراً لهؤلاء أو هؤلاء (المؤمنون والكافرون) لأنه خلقهم، وما من دابة على الأرض إلا على الله رزقها.

من هؤلاء من يريد الدنيا ومنهم من يريد الآخرة.

فمن أراد الدنيا قال الله فيهم ﴿**وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ**﴾ [الشورى: ٢٠].

أما المؤمنون فيقولون: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [البقرة: ٢٠١].

هذا الإنسان ذلك الجرم الصغير الذي يتردد فيه الكل كما قال الفلاسفة، ألهمه الله الفجور والتقوى.. ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

تعلم الإنسان فى أول عهده من الغراب. كيف يوارى سوءة أخيه (جاء فى سورة المائدة آية ٣١).

وتعلم صناعة السفن عن طريق الوحى الذى نزل على سيدنا نوح عليه السلام.

وتعلم صنعة لبوس (صناعة الدروع) عن طريق الوحى الذى نزل على سيدنا داود عليه السلام.

وتعلم منطق الطير (سورة النمل: ١٦).

وتعلم نقل العروش من أماكنها (سورة النمل: ٤٠).

وتعلم بناء السدود من البرونز بين الجبال (سورة الكهف: ٩٦).

تعلم الطب، والهندسة، والتجارة، والجيولوجيا، والطبيعة، والكيمياء، والحرف والمهن المختلفة مصداقًا لقوله تعالى: (سورة البقرة الآيات ٣١، ٣٢، ٣٣).

هذا الإنسان العاقل الناطق من دون المخلوقات المرئية جعله الله سبحانه وتعالى خليفة فى الأرض.

هذه الخلائف أو الخلافة لا تقوم إلا بإقامة الدين بالصلاح والإصلاح.. بالاستقامة على الصراط المستقيم.. بالفضائل والأخلاق والآداب.

جميع الحضارات التى قامت بغير دين انتهت جميعها إلى دمار أو هلاك، منذ حضارة قوم عاد التى لم يخلق مثلها فى البلاد إلى الحضارة الشيوعية أو الإلحادية فى الاتحاد السوفيتى التى انتهت بغير رجعة.

بينما نجد الحضارة الإسلامية منذ آدم عليه السلام باقية حتى قيام الساعة، قام بها مائة وأربعة وعشرون ألف نبى ورسول، أولهم آدم عليه السلام وآخرهم سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء وسيد المرسلين.

وسار على نهجهم الصديقون والشهداء الصالحون وحسن أولئك رفيقًا.

هؤلاء هم القلة المؤمنة الذين على أكتافهم وبقلوبهم وعقولهم تنهض الأمة الإسلامية العملاقة من كبوتها، وغيرهم (غير المؤمنين) فهم الغثاء الذين يمكن تصنيفهم كما يلى:

١- **العصاة**: الذين لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة.

٢- **المنافقون**: الطابور الخامس المتحالفون مع اليهود والنصارى.

٣- **العلمانيون**: وهم الذين قالوا لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين.

٤- **الدجالون باسم الدين**: والدين منهم براء منهم السحرة وعباد الأضرحة والنذر لهم.

٥- **المرتدون أو الملاحدة**: الذين اعتنقوا المذاهب الشيوعية والرأسمالية وتركوا أمر الدين.

أمة الإسلام أمة قائمة إلى يومنا هذا، وهى تشمل العالم الإسلامى بأسره من دول وأقليات.

هذه الأمة أمة واحدة لا تقبل التجزئة ولا تقبل التعدد فلا يقال. «أمم» كما لا يقال أمم متخلفة وأمم متقدمة.

فما هو الشأن أو التفسير بالنسبة للأمم ما قبل مبعث سيدنا محمد ﷺ وما بعده؟

أما عن الأمم السابقة فهم أقوام الرسل والأنبياء الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى أزمنة متلاحقة وأماكن منفصلة.. نشروا الإسلام فى شتى بقاع المعمورة وعاشوا فى سعادة ورخاء إلى حين.

وأمم أخرى كفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، أصابهم الخسف، والغرق، والصعق، والصيحة، والرياح العاتية والزلزلة، وقذائف اللهب أو البراكين.. وانتهت هذه الأمم بغير رجعة وما بكت عليهم السماء والأرض.. وبقى الإسلام شامخًا. مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

وأما عن الأمم اللاحقة (بعد بعث الرسول ﷺ وحتى قيام الساعة). فهى الأمم التى لم تعتنق الإسلام، وعاشت حياتها فى صراع وفتن مثل قطع الليل المظلم، وحروب تارة مع بعضها البعض مثل ما حدث فى الحربين العالميتين الأولى والثانية، وتارة مع العالم الإسلامى مثل ما نجد اليوم (الولايات المتحدة وإسرائيل).

حينما نقرأ التاريخ منذ عصر الصحابة إلى يومنا هذا نجد أن هذه الأمم الكافرة تتلاشى تباعًا منذ دولتى الفرس والروم ثم الصليبيين ثم التتار حتى سقوط الاتحاد السوفيتى والبقية تأتي.

تنبأ الرسول ﷺ بهذه الأحداث وما سوف يأتى، نذكر منها على سبيل الإشارة أو التلميح فقط:

أ- تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها ... إلخ.

ب- افترقت بنو إسرائيل إلى اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتى ثلاث وسبعين جميعها فى النار إلا واحدة.

جـ- ستكون فتن مثل قطع الليل المظلم سبق ذكره.

(ويل للعرب من شر قد اقترب).

فما الخلاص منها:

١- تقوى الله فى السر والعلن.

٢- العدل فى الرضا والغضب.

٣- القصد فى الغنى والفقر.

٤- السمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشى.

٥- عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى.. عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

د- ستفتح القسطنطينية (وقد فتحت مع بداية الخلافة العثمانية).

و- عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض، يخسف بأولهم وآخرهم.**

قالت: قلت يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم، ومن ليس منهم؟

قال: يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم» [متفق عليه] (هذا لفظ البخارى).

هـ - لن تقوم الساعة حتى ينطق الشجر والحجر: يا عبد الله: إن خلفى يهودى فاقتله.

ى- ستفتح روما:

سئل الدكتور يوسف القرضاوى عن هذا الحديث فى إحدى حلقاته على قناة الجزيرة الفضائية (برنامج الشريعة والحياة)؟

فذكر بأنه ليس شرطًا أن يكون ذلك غزوًا مثل ما حدث فى فتح الأندلس (أسبانيا والبرتغال الآن).

فالاحتمال الأقوى هو انتشار الإسلام بدخول الناس فى دين الله أفواجًا فى القارات الست بدءًا بروما مفتاح القارة الأوروبية.

وهذا يتوافق على ما ذُكر عن النبى ﷺ بأن الساعة لن تقوم حتى ينتشر الإسلام على كل شبر من الأرض.

ربما يتساءل بعض الذين فى قلوبهم مرض: إذا كان الأمر كذلك فلماذا الجهاد إذن؟

ولماذا بذل الجهد المتواصل لإقامة شريعة الإسلام، ومواجهة قوى البغى والعدوان مهما كان الثمن؟

ولماذا السعى دون إحباط أو كلل لتوحيد الأقطار الإسلامية الممزقة، ورعاية الأقليات الإسلامية المستضعفة؟

نقول والله المستعان: بأن ما حدث وما سوف يحدث إنما هى نتائج لمقدمات بُذل فيها الجهد والعطاء والتضحية والفداء، من رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من لا يزال ينتظر.

مرة أخرى حينما نقرأ التاريخ نجد مواقف حكيمة وانتصارات عظيمة وبطولات نادرة من القلة المؤمنة لم نجدها مطلقًا مع الكثرة الضالة فى المراحل الأخيرة من عصور الخلافة.

منها على سبيل المثال:

أ- صلاح الدين فى مواجهة الصليبيين.

ب- قطز (المملوكى) يعاونه العز بن عبد السلام (شيخ الأزهر) فى مواجهة التتار.

جـ- السلطان عبد الحميد (العثمانى) الذى رفض إعطاء أرض لليهود في فلسطين.

د- الإمام محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا مجددا الفكر الإسلامى.

و- الحركات الإسلامية فى مصر والسودان وليبيا والمغرب والجزائر وفلسطين والمملكة السعودية وبعض دول العالم الإسلامى، التى نالت شرف الجهاد بالقضاء تمامًا على الاستعمار القديم.

ثم الجهود التى بذلت بعد ذلك منذ سقوط الخلافة العثمانية حتى يومنا هذا.

نذكر منها على سبيل الإشارة أو التلميح.

أ- إنشاء الجامعة العربية (حيث نادى الزعيم مصطفى كامل بإنشاء الجامعة الإسلامية وحورها المستعمرون والعلمانيون إلى جامعة عربية).

ب- إنشاء رابطة العالم الإسلامى.

جـ- معاهدة الدفاع المشترك (بين الدول العربية).

د- إحياء الاقتصاد الإسلامى ومشروع السوق الإسلامية المشتركة.

هـ- صور وَحْدَوِيَّة مثل: وحدة مصر والسودان، ووحدة المغرب العربى ومجلس التعاون الخليجى.

ومع بداية إقامة الأمة الإسلامية الموحدة، فلا بأس من الاستعانة من تجارب الدول غير الإسلامية.

نذكر منها على سبيل المثال:

أ- التجربة الأوروبية: فى اجتماعات الدول الثمانى الكبار - فى حلف الأطلنطى المسمى الآن بحلف الناتو - السوق الأوروبية المشتركة - إصدار العملة الموحدة (اليورو).

ب- التجربة الصينية: فى تصدير بضائعها الإنتاجية والاستهلاكية بأسعار عالمية لا تنافس وتشجيع الشباب الصينى على إنشاء وحدات إنتاجية متناهية الصغر.

رابعًا: رؤية شرعية حول وحدة الأمة الإسلامية

علمنا مما سبق أن وحدة الأمة الإسلامية فرض على كل مسلم ومسلمة.. عربى أو أعجمى.. حاكم أو خادم.. فقير أو غنى.. مقيم داخل الديار الإسلامية أو خارجها (الأقليات من المسلمين).

بل هى الفريضة العظمى التى تتحقق بها سائر الفروض.. خاصة أنه قد ورد فى السنة أنه من لم تحدثه نفسه (تصحيح النية وإخلاصها لله) عن البيعة والشورى والجهاد فقد خرج عن ربقة الإسلام.

- فالمسألة ليست أمانى ولا أحلام ولا قول باللسان.. وإنما هى علم بالحقيقة وجهد ومجاهدة وجهاد فى التطبيق بهدف الوصول إلى طريق الرشاد.

وذلك مصداقًا لقـوله تعالى فى (سورة العنكبوت : ٦٩) ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وتذكيرًا بالحديث النبوى:

«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعـاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى».

والتطبيق الإسلامى يقوم على التـدرج والمرابطة وعلى الصبر والمصابرة وليس على الطفـرة أو الدكـتاتورية ولذلـك يتحـتم وضع برنامج زمنى للتـنفيـذ على مراحل. مع مراعاة بعض المسائل الفقهية المتفق عليها مثل:

أ- درء المفاسد مقدم على طلب المصالح.

ب- ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

جـ- لا يكون الخيار إلا فى أحسن الأمرين أو أخف الضررين.

ومن الأحاديث النبوية هناك قواعد هامة مثل:

لا ضرر ولا ضرار - لا تغضب - قل آمنت بالـله ثم استقم - لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يـأكل طعامك إلا تقى - خـير الأعمـال الصلاة لميـقاتهـا، وإيتاء ذوى القربى، وحج مبرور.

- مسك الختام من الذكر الحكيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

هذه الرؤية الشرعية حـول وحدة الأمة الإسلامية تتـضمن برنامج زمنى للتطبيق العملى.

وهى على محورين:

المحور الأول: من الراعى إلى الرعية.

المحور الثانى: من الرعية إلى الراعى.

وقد تم اختـيار ثلاث دول فى كل محور كـأمثلة للتطبيق نوضح تفاصـيلها فى الصفحة التالية:

محاور البرنامج الزمنى للتطبيق

البرنامج الزمنى للتطبيق يبدأ بمحورين بين الراعى والرعية ولا بأس من أن يسبق أحدهما الآخر.

المحور الأول: من الراعى إلى الرعية:

وهو أن يتوافر فى المسئول: إخلاص النية، والصلاح مع الإصلاح، والكفاءة القيادية مع الحكمة الواعية.

ثم يبدأ بمراجعة القوانين واللوائح والنظم والقرارات والتعليمات [عمليّاً] وتصويبها وفق الضوابط الشرعية للحكم بها مع المتابعة.

ثم تُشكل لجان متخصصة فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية، لإعادة تقييم ودراسة جدوى ما هو قائم فى العلاقات الدولية مع الدول الإسلامية وغير الإسلامية، وتصويبها وفق الضوابط الشرعية المتفق عليها، والالتزام بها مع الواقع.

فى البداية من الممكن أن يقوم بهذا الأمر أى مسئول فى أى دولة إسلامية محايدة، مثل ماليزيا أو الباكستان أو السودان.

مع شروط:

أ- التزام المسئول وبطانته (بطانة الخير) بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

ب- درء المفاسد وجلب المصالح.

جـ- أن تكون اللغة العربية هى اللغة الأولى (لغة القرآن) وتصحيح التواريخ بالسنة الهجرية.

المحور الثانى: من الرعية إلى الراعى:

تبدأ هذه الرعية من المؤمنين رواد المسجد. فهم أهل المساجد وعمارها.. هم المؤمنون حقاً وما دونهم غثاء.. لا يرجى من ورائهم خير.

صفات المؤمنين واضحة فى الكثير من السور والآيات القرآنية منها ما جاء فى سورة المؤمنون (الآيات من ١ - ١١).

يقول المولى عز وجل عن فضل المساجد وعمارها (التوبة: ١٨).

﴿ إِنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾.

وأيضًا فى الآيات ٣٥. ٣٦، ٣٧، ٣٨ من سورة النور.

- فالله نور السموات والأرض.

- هذا النور نجده فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

- من رجال لا تليهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

ويذكر الرسول ﷺ أحد سبعة يظلهم الله بظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله.

من يا رسول الله؟ ورجل قلبه معلق بالمساجد.

ويقول أيضًا:

من غدى إلى المسجد أو راح، أعد الله له نزلاً فى الجنة كلما غدى أو راح.

من هذه القلة المؤمنة فى كل مسجد يتم اختيار أهل الحل والعقد، وهم الصفوة المختارة من القلة المؤمنة.

وأهل الحل والعقد فى كل مسجد من الممكن أن يتراوح عددهم بين ثلاثة وخمسة عشر، بحسب صغر المسجد أو كبره.

- قد قسم العلماء المساجد إلى نوعين:

الأول: مساجد تقام فيها الصلوات الخمس.

الثانى: مساجد تقام فيها صلاة الجمعة والعيدين الفطر والأضحى بجانب الصلوات الخمس، مع اكتمال الوظائف الأخرى للمسجد.

أهل الحل والعقد يمثلون الحكومة المحلية أو المصغرة فى كل قرية وفى كل حى، ومع الصعود حتى عواصم البلاد.

ومنهم تتشكل الوظائف العليا ومجالس الشورى والمجالس المتخصصة ومجالس القضاء وما شابه.

أرى أن تكون البداية.. بداية التطبيق الفورى فى ثلاث دول هى:

أ- العراق: الممزق الآن بين السنة والشيعة والأكراد، والمحتل الآن من قوى البغى والعدوان (الولايات المتحدة وذيولها من دول أوروبا).

ب- أفغانستان: الممزق الآن بين طالبان وبعض الفصائل القبلية، والمحتل الآن من قوى البغى والعدوان (الولايات المتحدة وذيولها من دول أوروبا).

جـ- فلسطين: الممزق الآن بين حماس ومنظمة فتح وبعض الفصائل الجهادية الأخرى، والمحتل الآن من صقور اليهود المهاجرين من الخارج دون الحمائم، والمدعمين تدعيمًا شموليًا من قوى البغى والعدوان، الذين لم يراعوا فى المسلمين المتعاملين معهم إلاً ولا ذمة.

لقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من التحالف مع اليهود والنصارى فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم.

منها قوله تعالى (سورة المائدة: ٥١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾.

ومن منطلق: لا حزبية ولا مذهبية ولا طائفية ولا عنصرية فى الإسلام.

أدعو جميع الفرق المتناحرة فى العراق وفى أفغانستان وفى فلسطين إلى كلمة سواء. إلى مؤتمر مصالحة يعقد فى مكة تحت رعاية المخلصين العالمين العاملين من أبناء الإسلام مع شرط التوبة والإنابة إلى الله، حتى يكونوا مؤمنين حقاً ومن رواد المساجد لتشكيل أهل الحل العقد المشار إليه.

من هؤلاء (أهل الحل والعقد) ترقى البلاد إلى مصاف الدول المتقدمة المتحضرة التى لا ترضى بالظلم ولا تقبل الذل والمهانة.

فالصراع الآن صراع حضارات وقيم وأخلاق وعدالة فى الحقوق والواجبات.

ولا تستطيع أى قوة فى العالم أن تمنع ذلك إلا من خلال الكذب والخديعة والاستغلال، وهذا من شيمة شياطين الإنس والجن.

والله يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

هذه مرحلة والمراحل الأخرى تأتى تباعًا بالأعمال الصالحة، والرسول ﷺ يذكرنا دائمًا بقوله: «**إنما الأعمال بالنيات**».

*****

obeikandl.com

الخاتمة

ومسك الختام بعض آيات من الذكر الحكيم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٣].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

- من كتاب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين «باب التوبة».

قال العلماء:

التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى، فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

والثانى: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبدًا، فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة:

هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها (رد المظالم).

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«يضحك الله سبحانه وتعالى إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة. يقاتل هذا فى سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيستشهد»**. [متفق عليه].

المقصد من هذا البحث هو الإنابة أو الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، بعد أن عاش المسلمون فى شتى بقاع الأرض منذ مئات السنين فى فتن مثل قطع الليل المظلم، ويتظالمون فيما بينهم والظلم ظلمات يوم القيامة كما ورد فى الحديث النبوى.

المسلمون فى الأقطار الإسلامية (حوالى ٥٨ دولة إسلامية) مع الأقليات الإسلامية فى العالم غير الإسلامى يمثلون حوالى ربع سكان العالم (مليار ونصف نسمة) بعد دخول الناس فى دين الله أفواجًا عامًا بعد عام - رغم كيد الأعداء وبطش الظالمين.

فالدعوة إلى الله مستمرة بجهد المؤمنين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والحمد لله رب العالمين.

حـال المسلمـين فى عالم اليـوم غـثاء أو مـثل الغـثـاء إلا قلة من المؤمنين هم الصفوة. . . وهم أمل المستضعفين الذين سيمن الله عليهم ويجعل لهم الغلبة فى الأرض بعد هلاك قـوى البغى والعدوان كـما هلكت الأمم الظالمة من قـبل. . عاد وثمود وفرعون وقومه. . التتار والصليبيين، والاتحاد السوفيتى منذ عهد قريب.

حالنا اليوم مثل حال بنى إسرائيل أصابتنا الذلة وأحاطت بنا المسكنة، لأننا تركنا كتـاب الله كتطبـيق وليس مجـرد آيات تتلى، وَأَمَـتْـنَا السنة رغم الزعم بحب رسول الله ﷺ وخالفنا الإجماع رغم وضوح الرؤية وقوة البرهان ودليل الحكمة.

نحن فى حاجة إلى مهدى ننتظره يحكم بما أنزل الله مقتديًا برسول الله، يجمع شتات المسلمين ويوحد صفوف المؤمنين قاهرًا لقوى البغى والعدوان.

هذا المهدى سـيعفـو ويصفح ويغفـر لهذا الكم الهائـل من الغثاء المتـمثلين فى العصاة والعلمانيين والمنافقين، ليتحولوا مثل الصحابة من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، ومن جاهـلية القرن الرابع عشـر الهجرى إلى الخلافة الراشـدة فى القرن الخامس عشر. . من الفساد والإفساد إلى الصلاح والإصلاح.

والرسول ﷺ يتنبأ ويحـذر ويبشر أن هذه الأمة (أمة الإسلام إلى قـيام الساعة) لن ينصلح حال آخرها إلا بما صلح به أولها.

فلا ينبغى لأى مسئول مسلم على أى بقعة من بقاع الأرض أن يخالف أو يكابر بموالاة غير المسلمين والسير تحت أقدامهم، خارجًا عن جماعة أهل الحل والعقد. . ومن خرج عن الجماعة فقد خرج عن ربقة الإسلام والعياذ بالله.

قليل من علماء هذا الزمـان من تحدث عن فرضـية الخلافة، رغم أنهـا الفرض الأسمى الذى به تتحقق سائر الفروض. . وخاصة بعد سقوط الخلافة العثمانية فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى.

ولا أدرى لماذا تقاعس معظمهم عن ذلك الأمر الجلل. . بينما نجد أن دولاً مثل دول أوروبا قد توحدت سياسيًا وأنشأوا السوق الأوروبية المشتركة اقتصاديًا، وأقاموا

حلف الناتو (الأطلنطى سابقًا) عسكريًا، وصاروا يتعاملون بالعملة الموحدة (اليورو).

ونحن يا معشر المسلمين العرب أولى بذلك حيث يجمعنا دين واحد (دين الإسلام وكفى بالإسلام نعمة)، ولغة واحدة (لغة القرآن)، وأرض واحدة (من الخليج العربى إلى المحيط الأطلسى)، وبين أيدينا العملة الموحدة (الدينار الذهبى والدرهم الفضى).

قد يسألنى سائل: لماذا نخص المسلمين العرب دون سائر المسلمين فى العالم (دولاً وأقليات)؟

أقول والله المستعان

ليس المقصود بالعرب أهل مكة وما حولها من البدو الرحل على أرض الجزيرة قبل الإسلام (قريش وثقيف وما شابه) . . فهذه عنصرية قبلية.

وحيث إنه لا عنصرية فى الإسلام فقد جاء محمد ﷺ بالدعوة للناس كافة، بدأ بأهله (مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾) [الشعراء: ٢١٤]. ثم سراً فى دار الأرقم ابن أبى الأرقم . . ثم جهرًا بدخول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الإسلام (استجابة لدعاء النبى ﷺ: «اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين») ثم الهجرة ثم قدوم الوفود إلى الحرم النبوى فى المدينة.

ثم الدعوة العالمية بإرسال الرسل إلى قيصر الروم وكسرى الفرس ومقوقس مصر ونجاشى الحبشة، وهكذا دواليك فى عصور الخلافة

ومع انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية فقد انتشرت اللغة العربية تباعًا؛ لأنها لغة القرآن.

ولا يمكن فهم القرآن الكريم مطلقًا إلا بتعلم اللغة العربية الفصحى، فقد نزل أو أنزل إلى النبى ﷺ منجما خلال ثلاثة وعشرون عامًا فى مكة والمدينة بلسان عربى مبين.

ولا أدرى لماذا توقف انتشار اللغة العربية بعد نهاية عصر الخلفاء الراشدين؟

خاصة أن الإسلام قد انتشر بعد ذلك منذ الخلافة الأموية، فى بلاد الفرس (بلاد ما وراء النهر) والروم (فتح القسطنطينية) والسودان (أواسط أفريقيا وتشمل حوالى عشر دول الآن).

أترك هذا للباحثين فى هذا المضمار.. خاصة وأن الغالبية العظمى من المسلمين من الأعاجم ولا يعرفون اللغة العربية.. لغة القرآن (حوالى مليار نسمة أو يزيد).

وما يهمنى فى هذه الأيام هو حتمية انتشار اللغة العربية الفصحى فى باقى الدول الإسلامية وكذلك الأقليات، وأرى أنها فرض أو ضرورة. بل أرى أن تكون هى اللغة الأولى عند كل مسلم.

بل إننى أرى أن يتعلم هذه اللغة جميع العرب، حيث انتشرت بينهم ما يسمى باللغة الدارجة أو القبلية.. وقال البعض بأنها ليست لغة ولكنها لهجة أو لهجات بتعدد البلاد والنجوع.

وأرى أن تسعى الجامعة العربية بموافقة الحكام العرب أن تجعل هذه اللغة هى لغة التخاطب فى كافة وسائل الإعلام والدواوين وداخل الأسر.

هذا علمًا بأن الخلافة العثمانية هى الخلافة الوحيدة التى لم تتخذ اللغة العربية لغتها الرسمية فى البلاد مثل باقى العصور، مما جعلها فى شقاق ونزاع مستمر مع الدول العربية، وانفصال تام عن باقى الدول الإسلامية فى آسيا وأفريقيا.

وهذا فى حد ذاته من أهم أسباب سقوط الخلافة العثمانية، هذا بالإضافة إلى أسباب أخرى. نذكر منها:

١- الخروج عن شروط الإمامة المتعارف عليها.

٢- أنها صارت ملكًا عضوضًا.

٣- دخول الاستعمار القديم أراضى المسلمين دون علمها أو رغمًا عنها.

ورغم هذه المساوئ التى لا تقبل مطلقًا، إلا أن هذه الخلافة كان لها الفضل فى انتشار الإسلام فى ربوع أوروبا وبعض مناطق العالم، وكانت هى البديل لسقوط الأندلس.

ولا يعنى سقوط الخلافة فى تركيا سقوط الخلافة مطلقًا، وإنما هى مرحلة مثل باقى المراحل السابقة.

هذه المرحلة القادمة تحدث عنها بعض علماء العصر المجتهدون من أمثال: السيد رشيد رضا، والشيخ محمد الغزالى، والدكتور محمد ضياء الدين الريس، أخذًا ممن سبقوهم من الأقدمين من أمثال: أبو يوسف فى كتابه الخراج، والماوردى فى كتابه الأحكام السلطانية، وابن تيمية فى كتابه السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية، وأبو حامد الغزالى فى كتابه إحياء علوم الدين، وابن خلدون فى كتابه «المقدمة».

وكان لى جهد المقل فى هذا البحث الذى أرجو من الله أن يكون عونًا فى إقامة الخلافة الراشدة بأى صورة من صور العصر الحديث على نطاق العالم الإسلامى (الدول الإسلامية والأقليات الإسلامية فى الدول غير الإسلامية).

ومن خلال هذا البحث يمكن إيضاح أهم النتائج كما يلى:

أولاً: أن أعظم أيام أو قرون الأمة الإسلامية كانت فى عصور النبوة وخليفة رسول الله أبو بكر الصديق وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وتصورى أن هذا ما تنبأ به رسول الله ﷺ حين قال: «**خير القرون قرنى ثم الذى يليه ثم الذى يليه**».

وهذا هو المثال الذى يمكن أن يحتذى به حين تقام دولة الخلافة الراشدة.

ثانيًا: أن من حق إمام المسلمين أو الخليفة القائم ترشيح من يراه مناسبًا ليحل محله حال غيابه أو مرضه أو بعد وفاته، منعًا للفتن والمنازعات وصراع مرضى القلوب وعزلة أولى النهى. على شرط:

١- ألا ينيب أحدًا من أقاربه.

٢- ألا يتم تعيين الإمام أو الخليفة إلا بعد البيعة بالإجماع أو الأغلبية من أهل الحل والعقد.

وهذا ما حدث فى أواخر القرون الأولى كما يلى:

١- قال رسول الله ﷺ فى مرض الموت: مروا أبا بكر فليصل بالناس ولم يشر إلى أحد من أقاربه، ثم تمت البيعة بالإجماع لأبى بكر فى اجتماع السقيفة عقب وفاة رسول الله ﷺ.

٢- كان أبو بكر الصديق قبل وفاته يرغب فى أن يكون خليفته عمر ابن الخطاب دون أحد من أقاربه، وتمت البيعة بالإجماع لعمر بن الخطاب قبل وفاة أبى بكر.

٣- قبل مقتل عمر بن الخطاب تم ترشيح ستة من الصحابة المبشرين بالجنة، ولم يرشح أحدا من أقاربه قائلاً: كفى آل الخطاب رجلاً واحداً.

وتشاور الستة المرشحين فيما بينهم وتم اختيار عثمان بن عفان بالإجماع.

ولم يرشح الخليفة الراشد عثمان بن عفان فى عهده من ينيبه فى كبر سنه أو حال حصاره أو بعد وفاته، مما كان له الأثر الكبير فى الفتن والاضطرابات، حيث تمت مبايعة علي بن أبى طالب بإجماع أهل المدينة.. كما تمت مبايعة معاوية ابن أبى سفيان بالإجماع من أهل الشام.

كما لم يرشح الخليفة الراشد علي بن أبى طالب من ينيبه حال حياته أو بعد مقتله.

لكن أهل الكوفة بايعوا الحسن بن على بالإجماع.. لم يكن ذلك مستساغًا له فتنازل عن الخلافة مبايعًا معاوية بن أبى سفيان.

ثالثًا: أن ترشيح معاوية لابنه يزيد ليتولى الخلافة من بعده بتلميح من أميره المغيرة بن شعبة لم يكن على صواب لماذا؟

١- لأنه اختار أقرب أقاربه، وهذا مخالف لما سار عليه النبى وصاحبيه أبو بكر وعمر.

٢- لأن يزيد بن معاوية تولى الخلافة بعد ذلك دون إجماع الصحابة، فانقلبت الخلافة من البيعة والشورى إلى الوراثة والملكية.

وكان لذلك الأثر الأليم فى حياة المسلمين حتى وصل بهم الحال إلى ما نراه اليوم.

لذلك أرى أن تكون الخلافة المعاصرة بمنهجها الجديد متوافقة على ما سار عليه الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما، اقتداء برسول الله ﷺ.

مع شرط تجديد البيعة لفترة واحدة منعًا لهوى النفس.

رابعًا: أن الانتفاع بالثروات الضائعة، واستخدام أو استغلال الطاقات المتاحة والتدريب المكثف للموارد البشرية (من سن السابعة حتى نهاية العمر عدا العاجز عجزًا تامًا)لا ولن يتم إلا من خلال الوحدة الكونفدرالية بين بعض الدول المتجاورة ،وإعادة تقسيم الأقاليم أو المحافظات مع التوسع الأفقى وإعادة ترتيب أوضاع الأقليات الإسلامية (تنمية القوة والهيبة والتأثير بما لا يقل عن اللوبى اليهودى فى الولايات المتحدة)، وقرأت خبرا يبشر بالخير فى جريدة اللواء الإسلامى (عدد ٣/ ٧/ ٢٠٠٨) ص٢ تحت عنوان:

الاتحاد العالمى لعلماء المسلمين يدعو لإنشاء مجلس عالمى للأقليات المسلمة.

خامسًا: تصنيف الأعمال بين الرجال والنساء دون الاختلاط بينهما، فى دواوين العمل ومعاهد العلم، مع مراعاة اقتران العلم بالتمرس أو التدريب أو العمل. بما يتوافق مع مستويات العمر مدى الحياة.

والسؤال: لماذا عدم الاختلاط بين الرجال والنساء؟

الجواب: لأن الاختلاط هو سبب الفساد الذى استشرى فى العالم الإسلامى بين سن المراهقة إلى خيانة الأزواج إلى التحرش بين بعض الموظفين والموظفات وخاصة عالم الفن.

قرأت فى تحقيق صحفى أعدته الصحفية هبة عبد الرحمن فى مجلة الحوادث (عدد ٢/٧/٢٠٠٨) عن أسرار التحرش الجنسى أن ٩٠٪ من نساء مصر يتعرضن للتحرش الجنسى.

سادسًا: تصويب كافة القوانين واللوائح والنظم، بما يتوافق مع شريعة الإسلام لحفظ الحقوق والواجبات ورد المظالم بلا تأخير ولا تسويف، وتحسين العلاقات بين كافة الأطراف.

سابعًا: حتمية إيجاد حلول جذرية لحالات العنوسة والطلاق والترمل والزواج التعيس وغياب أحد الزوجين، درءًا للمفاسد وتيسيرًا للزواج وإطلاقًا لحرية الراغبين فى الزواج بلا عقد نفسية أو عوائق مادية، ومنعًا لظلم الآباء أو الأبناء أو غيرهم.

ثامنًا: إحياء فريضة الزكاة بإنشاء ديوان للزكاة مع بنك التكافل الإسلامى، كبديل للضرائب أو المكوس الظالمة والرسوم العشوائية ،وتوحيدًا للمفاهيم التى حيرت العلماء وأربكت الأغنياء وضيعت حق الفقراء.

سألنى أحد الإخوة عن زكاة محصول زراعى موسمى حقق إيرادًا قدره خمسة وعشرون ألف جنيه، وبلغت التكاليف ثمانية عشر ألف جنيه فأحلته إلى عالم متخصص (أستاذ أزهرى).

وكان الرد ما يلى:

هناك ثلاثة آراء وعليه أن يختار ما يطمئن إليه قلبه:

الرأى الأول: أن يخرج الزكاة من صافى الإيراد بنسبة ١٠٪.

الرأى الثانى: أن يخرج الزكاة بنسبة ١٠٪ بعد خصم ثلث الإيراد.

الرأى الثالث: أن يخرج الزكاة بنسبة ٥٪ من إجمالى الإيراد.

وقياسًا على ذلك نجد أنه ليس هناك اتفاق بين العلماء فى أنواع الزكاة (الأوعية أو المصادر) ولا فى مستحقيها ولا فى طريقة احتسابها.

ولذلك فإن إحياء فـريضة الزكاة سوف يحسم جمـيع هذه الاختلافات إلى رأى موحد يفصل فيه الإمام بعد مشاورة أهل الحل والعقد.

تاسعًا: حتميـة أسلمـــة البنـوك فى العالم الإسلامى (الدول والأقليات) حتى لا نقع فى دوائر الربا المحرم إقراضًا واستقراضًا فى كافة البنوك. شاملاً البنوك التى تسمى إسلامية وقد غابت عنها الرقابة الشرعية الفعالة.

ومع أسلمة هذه البنوك (شـاملة البنوك والفروع الأجنبيـة) أرى أن تكون الرقابة الشرعية عن طريق مـجمع البحوث الإسلامية أو رابطـة العالم الإسلامى، بحيث يتواجد مندوب دائم (مقـرر) ومعه أجهزة المراجعين أو المدققـين التى تقوم بمراجعة كافة العمليات مراجعة شرعية بجانب المراجعات المحاسبية والمستندية.

وكما ذكرت فى البحث سيكون كل بنك بمثابة شركـة قابضة لمجموعة الشركات المتخصصة التابعة لها أو شارك فيها أو متفق معها.

ولا فرق بين مسـاهم ومودع ومضارب فى توزيع الأرباح بالنسب الترجـيحية، مع التغيـير الجذرى فى شكل أو صيغـة «شركة مساهمـة» أو بما يتوافق مع منهاج العقود الشرعية الحاكمة للمعاملات الإسلامية.

(فى تصورى أن الفروع فى القرى وأحياء المدن هى الشكل القانونى المتوافق مع شريعة الإسلام والملائم للأطراف الثلاثة: المساهمون والمودعون والمضاربون).

ومن محاسن الأقدار أنى قد قرأت خبـرين هامين فى مجلة الاقتصاد الإسلامى الشـهـرية (عـدد ٣٢٦ جـمـادى الأولى سنة ١٤٢٩هـ) التـى يصـدرها بنك دبى الإسلامى.

الخبـر الأول: تحت عنوان: «هيئـة شرعيـة للبنوك الإسلاميـة تحت مظلة منظمة المؤتمر الإسلامى».

هذا ما أعلنه الـشيخ صالح عـبد الله كامل رئيس الـغرفة الإسـلامية للتـجارة والصناعة عن قيام هذه الهيئة التى تتخذ من البحرين مقراً لها.

وقد أشار أن عمل هـذه الهيئة سينحصـر فى مراقبة المنتجات الإسـلامية، وقد اختـارت الهيئة فى عـضويتها عـددًا من علماء الأمة الإسلامـية، وأكد أن الهيـئة ستعمل تحت مظلة منظمة المؤتمر الإسلامى وتضم ممثلين لخمسة بنوك مركزية وثلاثة مجامع فقهية، وهناك ١٢٠ بنكا قبلوا فى الهيئة.

الخبـر الثانى: تحت عنوان: «برنامج لمواجـهة أى تجاوزات شرعـية فى المصرفـية الإسلامية».

هذا البرنامج ترعاه هيئـة المحاسبة والمراجعة، ويهدف إلى تعـميق أسس التحقق من النزاع فى العقود المالية الإسلامية بأحكام الشريعة.

هذه محـاولات لإصلاح ما هو كـائن، لكنها تخـتلف تمامًا عـما أراه فى هذا البحث.

ومن منطلق أن الإسلام لا يحمل فى طـياته الحزبية ولا المذهبية كـما لا يحمل الطائفية ولا العنصرية.

فقد اقترحت كبداية لوحدة الأمة الإسـلامية تحت إمارة الخليفة الراشد محورين لتطبيق الأمر على مراحل.

المحور الأول: من الراعى إلى الرعية:

وهو أن يتقـمص أى مسئـول أو شخصـية عامـة تتمتع بالقـبول من أهل الحل والعقد مسئولية الخليفة كنائب عنه، لحين ترشـيحه أو مبايعته بالإجماع أو الأغلبية مستقبلاً.

وكان اختيارى لثلاث دول كنماذج يحتذى بها هى:

١- الباكستان: ومن أهم الشخصيات العامة فيها القاضى حسين زعيم المعارضة الإسلامى.

٢- السودان: ومن أهم الشـخصيـات العامة فـيها المشيـر عبد الرحـمن سوار الذهب الذى كان رئيسًا للدولة ثم تنازل بمحض إرادته.

٣- ماليزيا: ومن أهم الشخصيات العامة فيها مهاتير محمد الذى نهض بالدولة من التخلف إلى التقدم أثناء رئاسته ثم ترك الحكم عن طواعية.

والمحور الثانى: من الرعية إلى الراعى:

تبدأ هذه الرعية من المؤمنين رواد المساجد... فهم أهلها وعمارها .. هم المؤمنون حقاً.

من هذه القلة المؤمنة فى كل مسجد يتم اختيار أهل الحل والعقد وهم الصفوة المختارة.

هذه الصفوة المختارة تتصاعد من القرية أو المدينة إلى عواصم البلاد، وتتشكل منهم الوظائف العليا ومجالس الشورى والمجالس المتخصصة ومجالس القضاء وما شابه.

أرى أن تكون البداية.. بداية التطبيق الفورى فى ثلاث دول هى:

١- العراق: الممزق بين السنة والشيعة والأكراد، والمحتل الآن من قوى البغى والعدوان.

٢- أفغانستان: الممزق بين طالبان وبعض الفصائل القبلية.. المحتل الآن من قوى البغى والعدوان.

٣- فلسطين. الممزق بين حماس ومنظمة فتح وبعض الفصائل الجهادية الأخرى، والمحتل الآن من قوى البغى والعدوان.

وأما عن مصرنا الحبيبة.. كنانة الله فى أرضه.. والتى أوصى بها رسول الله ﷺ قبل فتحها.. وذكرها فى أكثر من موضع:

«عليكم بأقباط مصر.. فهم خير أجناد الأرض.. وهم فى رباط إلى قيام الساعة».

هناك فى مصر الآن وظيفة شاغرة يمكن إسنادها لشخصية عامة تلقى القبول العام من المسئولين ومن الأوساط الإسلامية ومن أولى الأمر والنهى من شعب مصر العريق.

هذه الوظيفة الهامة هى:

«مساعد رئيس الدولة لشئون أسلمة البنوك وإحياء الزكاة ورد المظالم».

هذه الوظيفة بمشيئة الله سيكون لها آثارها بعيدة المدى فى إصلاح شأن أمة الإسلام ووحدتها ورخاؤها وعودة حضارتها بين الأمم المعاصرة .

اللهم إنا نسألك الخلافة الراشدة وإحياء الدين فى العالم كله وتمكين عبادك المؤمنين واجعلنا منهم يا أرحم الراحمين. . يا غنى السائلين.

اللهم اجعل خير أعمارنا أواخرها، وخير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم أن نلقاك وأنت راضٍ عنا يا تواب. . يا لطيف. . يا رحمن الدنيا والآخرة. . . آمين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

*****

obeikandl.com

obeikandl.com

أهم المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- رياض الصالحين (من كلام سيد المرسلين) للإمام النووى.

٣- الفقه الميسر للشيخ أحمد عيسى عاشور.

٤- المجتمع الإسلامى للشيخ محمد أبو زهرة.

٥- فقه الزكاة للدكتور يوسف القرضاوى.

٦- نظرة على واقعنا الإسلامى (على مطلع القرن الخامس عشر الهجري) للشيخ محمد الغزالى.

٧- الإسلام والخلافة فى العصر الحديث (نقد لكتاب الإسلام وأصول الحكم للشيخ على عبد الرزاق) للدكتور محمد ضياء الدين الريس.

٨- النظريات السياسية الإسلامية للدكتور محمد ضياء الدين الريس.

٩- السياسة والاقتصاد فى التفكير الإسلامى للدكتور أحمد شلبى.

١٠- حركة البنوك الإسلامية (حقائق الأصل وأوهام الصورة) للدكتور أحمد عبد العزيز النجار.

١١- نحو آفاق مستقبلية للمصارف الإسلامية للباحث أحمد عبد الهادى طلخان.

١٢- الاقتصاد الإسلامى.. مدخل ومنهاج للدكتور عيسى عبده إبراهيم.

١٣- الخراج لأبى يوسف.

١٤- السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية لابن تيمية.

١٥- أبحاث قدمت لمركز صالح عبد الله كامل للاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر:

- نحو تنظيم معاصر لفريضة الزكاة للباحث أحمد عبد الهادى طلخان.

- رؤية إسلامية حول بورصة الأوراق المالية للباحث أحمد عبد الهادى طلخان.

١٦- بحث مقدم لجامعة القاهرة - (قطاع المجتمع وتنمية البيئة عن مشكلة البطالة وطرق حلها (مارس/ ٢٠٠٧). للباحث أحمد عبد الهادى طلخان.

١٧- قضايا الجاليات المسلمة فى المجتمعات الغربية، للأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندى، الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

١٨- يا شيعة العالم استيقظوا- الإمام الدكتور موسى الموسوي.